الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

الاثنين 16 شعبان 1421 هـ 13 نوفمبر 2000 العدد 8021

الأمير عبد الله في الدوحة.. مسؤولية الممكن

عبد الله الطويرقي *

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

لعله من غير المتعارف عليه، بل ان شئنا من غير المألوف، ان تخاطب الزعامات العربية شعوبها بمفردات الواقع وبرموز حياتية قريبة من جلود وعظام البشر العاديين. الناس اعتادوا على زعامات تخاطبهم بمفردات وبمفهومات نخبوية تكرس هالة السلطة في عيونهم وتشعرهم بأهلية الادمغة التي تقودهم، كونها ارتقت الى اعلى درجات سلم الكلام والافكار. لربما كان مفاجئا للعديد ممن استمعوا لخطاب الامير عبد الله بن عبد العزيز امام القمة العربية الاخيرة، ان يرد اسم محمد الدرة على لسان الامير، للدرجة التي دفعت بصحافي عربي كبير للقول انه عاد مرات ومرات للمقاطع التلفزيونية التي مرت عليه مرور الكرام ـ كما يقول ـ والتي صورت لحظة بلحظة حالة هلع الصغير من فوهات البنادق محتميا بجسم ابيه الذي لم يملك الحؤول دون مفارقة روح الصغير واحتباس انفاسه للأبد.

ان كان فعلا استحضار الامير لتلك اللحظات الوحشية في خطابه احدث ردة الفعل التي يحكي عنها الصحافي، فهذا يعني ان الناس لا يفهمون ولا يشعرون ولا ينفعلون ايضا بالصورة التلفزيونية او اللقطة الفوتوغرافية قدر ما تحركهم انفعالات ومشاعر قيادات الرأي ورموز العمل المؤسسي في محيطهم. وهو يعني ايضا ان رجلا كولي العهد السعودي، يفكر ويتحرك ويتعامل مع حقائق ويوميات المواطن في بلده وفي قضايا امته. الابعد من هذا ان الامير عبد الله عندما عبر عما خالجه وهو يرقب كمواطن عربي طفلا يستباح دمه ببرود لا يقل عن برودة الاعين الصحافية التي كانت تسلط فلاشاتها وعدسات كاميراتها تسجل لحظة بلحظة حب الحياة في داخل الصغير يتبعثر برصاصات مجرمة، وان كانوا يتمثلون مفهوم الصحافي المسؤول امام المجتمع الذي لا يتخلى عن كاميرته في لحظة حدث جماهيري ليمنع حدوثه بأخلاقياته كانسان، اقول لم يتوقف الامير عند تخوم العاطفة، وندب حظوظنا ولعن ظروفنا وشجب الاعتداء او المطالبة بحرب ضروس لا تبقي ولا تذر، وانما تفاعل بمسؤولية الممكن والمتاح لايقاف مسلسل حصد ارواح اخرى كالدرة، آخذا في الاعتبار ترتيبات عملية اخرى لصالح القضية وابنائها الفلسطينيين.

وليس بجديد ان اورد هذا الموقف السعودي لولا انه قبيل ايام من انعقاد القمة الاسلامية بالدوحة اعلنت السعودية انها لن تحضر قمة الدوحة، وقامت الدنيا عندها ولم تعقد بين مستغرب ومستنكر ومستهجن وغير مصدق لموقف القيادة السعودية، وما الذي ترمي اليه، ولماذا اقدمت على ما اقدمت عليه؟ هنا وجدتني مطالبا بايراد خطاب الامير عبد الله في قمة القاهرة فقط للتذكير، لعل الذكرى تنفع المؤمنين. فعلا نحن في العالم العربي اجمالا اعتدنا على تعطيل رؤوسنا وقتما نشاء، ونعملها كيفما ووقتما نشتهي، واعلامنا العربي اجمالا هو الآخر لا يمتنع عن ممارسة نفس الشيء على الرغم من الفارق في الخطورة والتأثير بين الاثنين. وكثيرا ما نضيع في الزحام المفتعل، او هكذا يراد لنا، المواقف الصادقة والعملية على حساب الجدلي والتافه والرخيص من الافكار والمواقف.. واقصد تحديدا تجاهل العديد من الاقنية الاعلامية العربية التي يفترض فيها شحذ ومساندة كل بادرة جادة لتحرير واقعنا الكسيح من ردود الفعل للفعل في هذا الظرف القومي المصيري، بل وتجاهل التوجه العملي والجاد الذي تدفع به السعودية لاعطاء القرار العربي والفعل العربي فاعلية يستلزمها الظرف الذي تهدر فيه كرامة الدم العربي والحق والمقدسات الاسلامية للأسف. مؤكدا ان هناك منصفين في الاعلام العربي ممن يدركون صدقية وجدية السياسة السعودية لاعادة اللحمة للموقف العربي، خصوصا في مسألة مصيرية كالقدس. وابناء الشعب العربي الفلسطيني لم يستغربوا البتة ان تمتنع السعودية عن المشاركة في قمة الدوحة، وبالتأكيد ليس لتسجل موقفا شعبيا في الاوساط العربية المحلية كما يحلو للبعض من الزعامات العربية، للأسف، التفنن في تلك الصناعة الجماهيرية. فمن يعرف القيادة السعودية يعرف سلفا انه لم يكن من طبيعة النهج السياسي السعودي القفز على الاحوال واستغلال الظروف لتمنح نفسها حضورا زائفا في الشارع وبالاخص في القضية الفلسطينية والعمل العربي المشترك.. ولكن، وعلى اية حال، كان ما كان وتكهن من تكهن الى الحد الذي ذكر فيه البعض ان السعوديين يصفون فواتير متأخرة مع القطريين الذين يختطون خطا معاكسا للصف الخليجي في مسائل اقليمية وعربية. فالمنطق السعودي الذي حمله خطاب الامير عبد الله في القاهرة، والذي لم تمض عليه إلا اسابيع معدودة، يستصرخ الجانب العملي والاجرائي لقرار الانهاء لأي شكل من اشكال العلاقات والمصالح التي ولدت في سنوات التفاوض السلمي بين العرب واسرائيل، مع الاخذ في الاعتبار خصوصية الظرف المصري والذي ليس محله ـ على الاقل في المحصلة الحالية ـ الفتوى باخضاعه كيفما اتفق لظروف الاخرين ممن لم يوقعوا اتفاق سلام بعد مع اسرائيل. ولعل في ظرف القمة الاسلامية محكا عمليا وفعليا لنا، كعرب اصحاب حق، ان نسجل امام المجتمع الاسلامي فعلا لا كلاما في مسألة هي الاهم والابرز في خارطة وجودنا، ليس لحفظ ماء الوجه وانما لتجيير مواقف الدول الاسلامية طواعية لدعم الانتفاضة والشعب الفلسطيني وقضية الامة.

ان الموقف الحازم للسعودية من مسألة الحضور للدوحة ودون ان تلمس الامة العربية ادنى ذرة من التحرك على ارض الواقع فعلا، مسألة غاية في الوجاهة، ليس في الشارع العربي فحسب، وانما دعما للنظام العربي المؤمل ولادته انطلاقا من حسم قضية الامة، ونهاية ببرامج التعاون والعمل والسوق والاتحاد العربي المنوي بلوغها. واذا كنا لا نعتقد ان رواية الامير عبد الله فيها شيء من الوجاهة على هذه الصعد العربية ـ العربية، فعلى الاقل ان فيها الكثير من الوجاهة عندما يتعلق الامر بعسكر تل ابيب واميركا من خلفهم، لافهامهم ان الظرف غير الظرف والشرط اليوم غيره بالامس، وان العرب جادون اكثر من اي وقت مضى، إما لانجاز سلام عادل وشامل للجميع، او لا سلام حتى اشعار آخر.

كنت اتمنى على الاعلاميين الموهومين بدور المخلّصين الجدد في بعض وسائل الاعلام العربية التي تزايد على عروبيتها، وتنصّب نفسها وصيا ولسان حال على مصالح العرب، وتشغل نفسها بالتفتيش كقضاة تحر يتساوى البريء والمذنب امام سلطتهم ومشروعهم التنويري لتحرير الجماهير العربية من فساد قياداتها ولآمسؤولياتها. اقول كنت اتمنى على الاعلاميين الموهومين بدور المخلصين الجدد ان يجيشوا تحقيقاتهم وحفرياتهم الصحافية لتحريك قرار صندوقي الانتفاضة وهوية القدس بطول العالم العربي وعرضه لتكشف للرأي العام العربي عن طوابير الكلام وهوائية القاعات والمنابر التلفزيونية، لتكشف من دفع ودفع فعلا، ومن لم يدفع، فقط من باب المسؤولية الجماهيرية المسكينة! المسألة بكل بساطة اننا لا نزال بيئة خصبة للشعارات واكوام الكلام والتي يمارس اعلام المخلصين الجدد فيها ادوار التسويق على رؤوس الناس كشكل عصراني ومتطور لخطابة الحشود والبيع والشراء بعقول وقضايا الامة. فالموقف السعودي لم يكن موجها للقطريين، ولا لقمة الدوحة، وانما مسألة مبدأ كان لا بد من الالتزام به في وقت لا تزال دماء الفلسطينيين تهدر وكرامة العرب شيبا وولدانا تداس على مرأى ومسمع الجميع، وإلا فما هي جدوى الحضور والمشاركات البروتوكولية الاستهلاكية لوعي ومقدرات الامة. فعلا مسكين الشعب العربي ويستحق التحرير ليس من الامراض والجهل والجوع وانما من ابناء لا يكنون له ابسط مفاهيم الحب والانتماء. وعندما تفهم القطريون وجاهة موقف الامير عبد الله لم يروا غضاضة في ان يضعوا انفسهم الى جانب الامير بصرف النظر عن توقيت المسألة في حسابات القطريين الذين لم يبادروا لاتخاذ قرار حاسم في وجود المكتب التجاري الاسرائيلي اسوة بتونس والمغرب وعُمان. لكن، في نهاية الامر، استجابة القطريين هي ايضا خطوة عملية لدعم القرار العربي وتفعيله، وحرص متناه على مشاركة السعودية لانجاح القمة الاسلامية وخروجها بقرارات تليق بقضية القدس وتعزز من الرسالة الموجهة لاسرائيل واميركا والعالم الحر بتوحد الرأي الرسمي والشعبي العربي والاسلامي وصلابته في استعادة حقوقه وبلا اية مساومات او تنازلات.

لا غرابة على اية حال، في ان يعمد هذا النوع من الاعلاميين، وبأسلوب احترافي، لتغييب المواقف الصادقة والجادة لزعامة او دولة عربية، او تجييرها امام الرأي العام العربي لصالح انظمة وزعامات عربية او اسلامية، فقط نكاية بـ(س) او (ص) من الدول، وعلى الحقيقة والجماهير السلام، كما حدث في اليومين الفارطين. ولله الامر من قبل ومن بعد.

*** كاتب سعودي**

مشاركة >> <
Tweet

بريـد طبـاعة